الصندوق الحجري الأخضر

بقي عند آنستاسيا أرملة ستيبان صندوق حجري أخضر مليء بالمجوهرات النسائية، من خواتم وأقراط، فسيدة الجبل النحاسي بنفسها أهدت الصندوق لاستيبان، وأوصته أن يهديه لعروسه.

نشأت آنستاسيا يتيمة ولم تعتد على ترف كهذا ولم تكن تحب التزين بالمجوهرات. وقد تزينت ببعض المجوهرات في السنوات الأولى من حياتها مع ستيبان، ولكنها لم تكن سعيدة بها. وكانت تحدث أمور غريبة، فعندما ترتدي المجوهرات في المنزل تبدو وكأن مقاييسها تناسبها تماماً، وما أن تخرج خارج المنزل حتى تبدأ الخواتم تضيق والأقراط تصبح ثقيلة جداً، كما أن المجوهرات كانت فاخرة جداً ولا يرتدي أحد مثلها من جيران وأصدقاء آنستاسيا من الناس العاديين.

وكانت تقول لنفسها: "إذا رأوني أتزين بها سيقولون انظروا إلى هذه الملكة في قريتنا".

كما أن ستيبان لم يجبر زوجته على ارتداء المجوهرات. وقال لها مرة:خبئي هذا الصندوق بعيداً كي لا يجلب لنا الشؤم والمشاكل.

فخبأت آنستاسيا الصندوق في درج الخزانة السفلي، حيث كانوا يضعون

أكياس القنب وأموراً ضرورية أخرى.

وعندما توفي ستيبان ووجدوا الأحجار الكريمة في يده، اضطرت آنستاسيا لإظهار الصندوق الحجري الأخضر للناس. وقام أحد العارفين والذي أخبرها سابقاً بأن الأحجار في يد ستيبان كانت كريمة وثمينة جداً، بتوصيتها عندما ذهب الناس قائلاً: احرصي على ألا تبيعي الصندوق بثمن بخس، فهو يساوي آلافاً كثيرة.

وقد كان هذا الرجل العارف من الأحرار، وكان يعمل مشرفاً في السابق، ولكن الإقطاعي طرده لأنه كان طيباً مع الناس ولا يقسو على العاملين. ولكنه كان يحب شرب النبيذ، وفيما تبقى من أمور كان رجلاً مستقيماً وشريفاً في كتابة الوثائق، وكان الناس يحبونه كثيراً وبقوا يطعمونه حتى آخر أيامه، حيث توفي في مصنعنا هذا.

وقد سمعت آنستاسيا من زوجها أن هذا المشرف مستقيم وذكي وعالم بعمله، ولم يكن يعيبه إلا شرب الخمر. وهكذا استمعت آنستاسيا إلى نصيحته وقالت: حسناً، سأحتفظ بهذه المجوهرات ليوم الحاجة.

وأعادت الصندوق إلى مكانه السابق. وهكذا دفنوا ستيبان ثم اجتمعوا يتذكرونه بعد الأربعين يوماً، وكل شيء تم حسب الأصول. وكانت آنستاسيا امرأة شابة ولديها أملاك، فبدأ الخطاب يتقدمون لخطبتها طالبين يدها، ولكنها كانت امرأة ذكية وكانت تجيب الجميع: حتى ولو كان الزوج الثاني غنياً وطيباً إلا أنه بالنسبة للأولاد يبقى زوج أم.

ومع مرور الوقت تعب الخطاب وتوقفوا عن المحاولة بأنفسهم.

ترك ستيبان أسرته مكتفية مادياً، فالمنزل كان كبيراً ومتيناً وكان عندهم فرس وبقرة ودجاج وزرع وكل ما يحتاجه قاطن القرية. وكانت آنستاسيا امرأة نشيطة تحب العمل، وأولادها صغار ليسوا مدللين. وبقوا يعيشون في اكتفاء ثلاث سنوات حتى نفذت مواردهم، وداهمهم الفقر. فكيف بمقدور أرملة وحيدة وأطفالها صغار أن تقوم بكل شيء بنفسها، فكسب المال أمر ضروري. وهنا بدأ أقاربها

ينصحونها ببيع الصندوق، ويقولون: بيعي الصندوق، فما حاجتك به؟ ولماذا تتركين الخير يضيع هباء. فأنت لا تتزينين بالمجوهرات وابنتك ستكبر مثلك. فهذه المجوهرات تليق بالسادة ولا أحد يرتديها بين الفلاحين والعمال. بيعي الصندوق وعيشي من ماله.

وما إن بدأت آنستاسيا تقتنع حتى ظهر المشتري مباشرة، وكان من الإقطاع، فعرض مائة روبل وجاء آخر عارضاً مائتين. وكانوا يقولون: إننا نشفق على أولادك لأنك أرملة، فندفع لك هذا المال.

وكانوا يحاولون خداع آنستاسيا، ولكنها كانت امرأة ذكية، فقد حفظت كلام المشرف ولم تبع الصندوق بالثمن البخس. كما أن الصندوق كان هدية من زوجها وذكرى عنه. والأفضل أن تتركه لأبنتها، التي أخذت تبكي وتقول: لا تبيعيه يا أمي، لا تبيعيه، فالأفضل أن أذهب للعمل من أن نبيع ذكرى والدي.

وقد بقي عند آنستاسيا من ستيبان ثلاثة أولاد صبيان وفتاة. وكان الصبيان كبقية الأولاد، أما الفتاة فلم تكن تشبه لا أمها ولا أباها، ومنذ أن كانت طفلة صغيرة كان الناس الذين يرونها يستغربون، فكانت النساء تقول لأمها والرجال يقولون لاستيبان: من أين جئت بهذه الفتاة فشعرها أسود وعيناها خضراوان، وهي لا تشبه بناتنا.

وكان ستيبان يجيب مازحاً: ليس غريباً أن شعرها أسود فوالدها منذ نعومة أظافره يعمل في مناجم الجبال. وعيناها خضراوان تشبهان الحجر الأخضر الذي كنا نستخرجه للإقطاعي. فلا شك أنها ذكرى لي من تلك الأيام.

وكان يدعوها "ذكرى" ويشتري لها دائماً أغراضاً من ألوان خضراء وزرقاء فاتحة.

وهكذا كانت هذه الفتاة الجميلة تكبر تحت أنظار الناس، ولكنها لم تكن تحب التقرب منهم، رغم أن الجميع كان يلاطفها ويسر لجمالها وكان اسمها تانيا. وحتى أشد النساء حسداً كن يتأملن جمالها بسرور. والوحيدة التي كانت تتنهد

هي أم الفتاة، وتقول: نعم إنها جميلة لكن جمالها غريب، وكأن أحدهم استبدل ابنتي بأخرى.

حزنت الفتاة كثيراً على وفاة والدها حتى صارت نحيلة، وكلما تذكرته جلست تبكي حزينة. وعندها خطر لوالدتها خاطر أن تعطيها الصندوق الحجري الأخضر لتلعب بالمجوهرات، فالفتيات الصغيرات تحببن التزين وهكذا صارت تانيا تلعب بالمجوهرات وتتزين. وكان المدهش في الأمر أن الجوهرة التي تضعها يكون قياسها مناسباً تماماً وكأنها صنعت لها خصيصاً. وكانت أمها لا تعرف كيف توضع بعض المجوهرات بينما تانيا كانت تعرف وكأنها كانت ترتديها دائماً. وكانت تقول لأمها: يا أمي كم هي جميلة هدية والدي. والدفء ينبعث منها وكأنها كانت موضوعة فوق المدفأة.

فاستغربت آنستاسيا كثيراً لأنها تتذكر أن المجوهرات كانت شديدة البرودة وكانت الخواتم تضغط على الأصابع والأقراط تزداد ثقلاً، فقالت لنفسها إنه فأل سيئ، وأخذت الصندوق وخبأته، فصارت تانيا تطلب منها منذ ذلك الحين وتقول: أمي دعيني ألعب بهدية والدي.

فيرق قلب آنستاسيا، وتخرج الصندوق من مخبئه وتقول: حافظي على ألا تكسري شيئاً.

وفيما بعد وبعد أن كبرت تانيا، صارت تخرج الصندوق بنفسها، فما إن تغادر والدتها وأخوتها المنزل للعمل في الحقل أو الذهاب إلى السوق، وتبقى تانيا للاعتناء بالمنزل، كانت تنهي الأعمال المنزلية أولا وتنفذ وصايا أمها لها، من تنظيف للأواني والغرف وإطعام للحيوانات المنزلية وتحضير الطعام، ثم تذهب لتلعب بمجوهرات الصندوق وتتأملها بإعجاب وتتزين بها.

وفي إحدى المرات تسلل رجل غريب إلى منزلهم، لربما كان مختبئاً خلف السور منذ بزوغ الفجر، أو أنه تسلل فيما بعد دون أن يلاحظه أحد، فلم ينتبه أحد من الجيران لدخوله أو سيره عبر الشارع. وكان شخصاً غريباً وجاهلاً بهذه المناطق

والأغلب أن أحداً ما دله على المنزل.

فما إن غادرت آنستاسيا، قامت تانيا بأعمال المنزل ثم جلست لتلعب بمجوهرات والدها، فتزينت بها كلها وجلست تتأمل نفسها، وفي تلك اللحظة تسلل إلى الكوخ ذلك الرجل الغريب، فالتفتت تانيا ورأت عند عتبة الباب رجلاً غريباً يحمل فأساً، وكان الفأس ملكاً للعائلة. وقد كان مكانه في زاوية الغرفة وقامت تانيا قبل قليل بتنظيف ذلك المكان ووضعت الفأس فيه. خافت تانيا كثيراً ولم تدر ما تفعل، ولكن ما إن نظر الرجل إليها حتى صاح متألماً وأسقط الفأس من يده وغطى عينيه بيديه وأخذ يئن ويصيح: آه يا إلهي لقد عميت... وتابع يفرك عينيه وهو يقول ذلك.

فرأت تانيا أن الرجل ليس على ما يرام وأخذت تسأله: كيف دخلت إلينا يا عماه، ولماذا أمسكت بالفأس؟

بينما استمر الرجل يئن ويفرك عينيه. فأشفقت تانيا عليه وغرفت دلو ماء وأرادت أن تعطيه للرجل، فابتعد الرجل عنها خائفاً وصاح: لا.. لا تقتربي...

وبقي جالساً عند المدخل وأغلق بظهره الباب كي لا تهرب تانيا، ولكنها وجدت مخرجاً آخر وهربت عبر النافذة وتوجهت إلى الجيران مباشرة. فحضر الجيران وصاروا يسألون الرجل عمن يكون ولماذا جاء إلى هذا المنزل؟ فرمش الرجل قليلاً بعينيه وأخذ يشرح أنه مارق طريق وأراد أن يطلب صدقة، ولكن شيئاً ما أصاب عينيه، وقال: وكأن الشمس ضربتني، وظننت أنني عميت، لربما هذا نتيجة الحر.

ولم تخبر تانيا الجيران عن الفأس والمجوهرات، فظن الجيران: "لا شك أن الأمر بسيط، ولربما نسيت تانيا البوابة مفتوحة، فدخل المارق وحدث معه ما حدث، فماذا لا يحدث في هذا العالم؟".

لكنهم لم يتركوا الرجل يغادر قبل مجيء آنستاسيا، وعندما وصلت مع أولادها روى لها الرجل ما رواه للجيران. فنظرت آنستاسيا حولها ورأت كل شيء في مكانه، فتركت الرجل يذهب، وغادر الجيران أيضاً.

وعندها روت تانيا لأمها كيف كان الأمر. ففهمت آنستاسيا أن هذا الرجل أتى لسرقة الصندوق، ولكن سرقته ليست سهلة على ما يبدو. وفكرت في نفسها: "علينا بحفظ الصندوق في مكان أكثر أماناً".

ثم أخذت الصندوق وخبأته في قبو المنزل. وعندما غادرت الأم ولدها من جديد، ذهبت تانيا لتلعب بالصندوق، فلم تجده في مكانه. فأحست بالأسى الشديد، وفيما هي جالسة حزينة شعرت بدفء غريب قادم من مكان قريب. فتساءلت عن مصدره، وعندما التفتت رأت ضوءاً يخرج من قبو المنزل، فخافت تانيا من أن يكون حريق قد نشب داخل القبو، ورأت الضوء في زاوية من زواياه. فأمسكت بدلو الماء وأرادت أن تسكب الماء على الضوء، وانتبهت إلى أنه لا توجد أي رائحة للحريق ولا أي أثر للدخان. فنزلت إلى القبو ورأت في زاويته الصندوق. وعندما فتحته وجدت أن المجوهرات أصبحت أكثر جمالاً وروعة، وكانت تصدر النور وتلمع بمختلف الألوان، فحملت تانيا الصندوق وأحضرته إلى المنزل، وأخذت تلعب بالمجوهرات حتى ملت.

وصار من عادة تانيا منذ ذلك الحين، أن تلعب بالمجوهرات كلما غادرت أمها المنزل. وكانت الأم تظن في نفسها: "لقد خبأت المجوهرات في مخبأ جيد هذه المرة ولا أحد يعرف مكانه". ولم تسمح آنستاسيا لأقاربها بفتح موضوع بيع المجوهرات، وكانت تقول: عندما نصل إلى أسوأ حال أبيعه.

ورغم صعوبة الظروف المعيشية إلا أنها صمدت، ومرت عدة سنوات أخرى صعبة ومن ثم بدأت الأمور تتحسن. فالأولاد بدؤوا يعملون ويكسبون المال، وتانيا أيضاً كانت لا تجلس بلا عمل، فقد تعلمت خياطة الحرير وتزيين الأقمشة بالخرز، وأصبحت من أمهر الخياطات والحياكات في المنطقة، وكانت أمهر الخياطات حين ترين عملها يستغربن من أين تبتكر هذه النقوش الجميلة؟

وقد جاء موضوع تعلم الحياكة والخياطة صدفة، فقد حضرت إليهم مرة امرأة متوسطة الطول وسوداء الشعر من عمر آنستاسيا، وكان يبدو عليها أنها مسافرة، وطلبت من آنستاسيا قائلة: هل تسمحين لي يا سيدة المنزل أن أبيت عندك ليلة أو

اثنتين؟ فقد تعبت كثيراً ورجلاي لا تحملانني، وما زال الطريق بعيداً.

ففكرت آنستاسيا في البداية أن هذه المرأة أرسلت لتسرق الصندوق، ولكنها رغم ذلك أدخلتها، وقالت: نحن لا نبخل بالمبيت على أحد، فتفضلي، ولكن طعامنا فقير فإن أعجبك البقاء فابقي.

فوضعت المرأة أغراضها وخلعت حذاءها وبدأت تتصرف وكأنها في منزلها. فلم يعجب الأمر آنستاسيا ولكنها لم تقل شيئاً، واكتفت بأن فكرت في نفسها: "يا لها من امرأة غير مهذبة، فلم يمر على وجودها لحظات حتى بدأت تتصرف وكأنها في منزلها".

ولكن المرأة وبعد أن جلست أخرجت أغراضها وأشارت إلى تانيا لتقترب منها وقالت لها: تعالي يا ابنتي وانظري إلى حياكتي وخياطتي، فإن أعجبك العمل علمتك إياه... فهذا العمل يجلب الكثير من المال.

فاقتربت تانيا وأعطتها المرأة قطعة من القماش المطرز وعليها نقش جميل ينبعث منه الدفء في أرجاء الغرفة.

وأعجبت تانيا بالعمل بشدة ولم يعد باستطاعتها إبعاد عينيها عن الأقمشة والخيوط ، فضحكت المرأة وقالت: يبدو أن العمل أعجبك فهل تريدين أن أعلمك إياه؟

نعم أريد... أجابت تانيا. فانزعجت آنستاسيا وقالت: لا تفكري حتى بالأمر، فليس لدينا مال نشتري به الملح وأنت تريدين أن تقوم ابنتي بحياكة وخياطة الحرير، فخيوط الحرير غالية الثمن.

لا يقلقك هذا الأمر، يا سيدتي... ردت المرأة المسافرة – فإذا أتقنت ابنتك العمل ستكسب الكثير من المال، ويصبح بمقدورك شراء ما تريدين. وسأترك لها الكثير من الخيوط والأقمشة مقابل استضافتك لي، وستكفيها لفترة طويلة. وسترين بنفسك أن عملنا مربح جداً.

فرأت آنستاسيا أن كلام المرأة صحيح ولم تعارض أكثر. وقالت: حسناً طالما

أنك ستعطينها أقمشة وخيوطاً فلا بأس علميها إذاً. وسأشكرك كثيراً على ذلك.

وهكذا بدأت هذه المرأة تعلم تانيا، وتعلمت تانيا سريعاً وكانت ذكية وسريعة الاستيعاب، وكأنها كانت تتقن هذا العمل في السابق. ولم تكن تانيا تحب التعامل مع الناس كثيراً، كما أنها لم تكن ودودة مع أهلها، في حين أنها أحبت هذه المرأة كثيراً. وكانت آنستاسيا تراقب الوضع عن بعد وتقول لنفسها: "وجدت لنفسها قرابة، فهي لا تتودد إلى أمها كما تتودد إلى هذه الغريبة".

وكانت المرأة الغريبة تتحدث مع تانيا وكأنها ابنتها هي. ورأت تانيا أن أمها انزعجت من ذلك ولكنها لم تستطيع أن تفعل شيئاً، فقد وثقت كثيراً بهذه المرأة لدرجة أنها أخبرتها بسر الصندوق الحجري الأخضر، فقالت: لدينا ذكرى غالية من والدي، وهي صندوق حجري أخضر، وفيه مجوهرات مزينة بالأحجار الكريمة، وأنا أحب أن أنظر العمر كله إلى تلك الأحجار.

وهل ستريني الصندوق؟... سألت المرأة.

ولم يخطر ببال تانيا أبداً أن هذا الأمر ليس صائباً، فقالت: حسناً سأريك إياه عندما يغادر جميع من في المنزل.

وعندما غادرت الأم وأولادها المنزل، نادت تانيا المرأة وأخرجت الصندوق من القبو، وأخرجت منه المجوهرات لتريها للمرأة، فقالت لها المرأة: تزيني بها فتصبح أكثر وضوحاً للعيان.

فتزينت تانيا بالمجوهرات وكانت المرأة تمتدح روعة المجوهرات وجمال تانيا، وتقول: جميل يا ابنتي جميل، علينا أن نصحح موضعها قليلاً... ثم اقتربت وأخذت تلمس الأحجار بإصبعها، وما إن تلمس حجراً حتى يزداد لمعاناً وبريقاً. ثم قالت المرأة: قفي يا ابنتي باستقامة.

فوقفت تانيا وبدأت المرأة تمسد لها شعرها بيدها وترتب ثيابها، ثم قالت لها: سأجعلك تستديرين وأنت انظري إلي فقط ولا تلتفتي، ولاحظي ما سيحدث ولا

تقولي شيئاً، حسناً استديري.

فاستدارت تانيا ورأت أمامها صالة كبيرة، لم تر مثلها من قبل. ربما كانت قصراً أو شيئاً آخر. فكان سطح الصالة يرتكز على أعمدة من الحجر الأخضر النقي. والجدران أيضاً كانت بطول الإنسان مزينة بالحجر الأخضر، كما كانت النقوش من الحجر الأخضر. وظهرت أمام تانيا مباشرة شابة جميلة جداً، لم تسمع بمثلها إلا من الحكايات. فقد كان شعرها أسود كالليل وعيناها خضراوين. وكانت كلها مزينة بالأحجار الكريمة، والثوب الذي عليها من المخمل الأخضر الذي يتموج بألوان كثيرة. وكان الثوب كأثواب الملكات على الصور. وكانت تقف بوقار شديد. وكان حشد كبير من الناس في تلك الصالة، وجميعهم يرتدون ثياب السادة ويتزينون بالذهب، ويبدون وكأنهم القيادات العليا. وكانت زوجاتهم هنا أيضاً، وجميعهن ترتدين الأثواب الفاخرة ولكن ولا واحدة منهن يمكن أن تنافس بجمالها جمال صاحبة العينين الخضراوين.

وإلى جانب صاحبة العينين الخضراوين وقف شخص يشبه الأرنب. وكانت ثيابه غريبة جداً، فقد بدا له الذهب قليلاً فتزين بالأحجار الكريمة الكبيرة التي لا يعثر على حجر بحجمها إلا كل عشر سنوات، ويبدو أنه كان صاحب منجم، وكان يتواجد باستمرار إلى جانب صاحبة العينين الخضراوين ولكنها لم تكن تعيره اهتمامها.

وقفت تانيا تتأمل هذه السيدة الجميلة، وفجأة انتبهت لنفسها قائلة: لكنها تتزين بالمجوهرات التي لوالدي... صاحت تانيا وفوراً اختفى كل شيء.

فضحكت المرأة وقالت: لم يتضح لك الأمر في هذه المرة، ولكن لا بأس سيتضح مع الزمن.

فبقيت تانيا تسأل عن مكان هذه الصالة؟

إنه القصر الملكي... أجابت المرأة – فالصالة المزينة بالحجر الأخضر كانت من الحجر الذي عثر عليه والدك.

obeikandi.com

ومن هي تلك السيدة التي تتزين بمجوهرات والدي ومعها ذلك الرجل الأرنب؟

هذا ما لن أخبرك به، لأنك ستعرفين ذلك بنفسك.

وفي نفس اليوم الذي عادت فيه آنستاسيا، بدأت فيه المرأة تحضر نفسها للرحيل. فانحنت لسيدة المنزل وشكرتها وقدمت لتانيا الحقيبة القماشية التي فيها الخيوط الحريرية والأقمشة، ثم أخرجت من جيبها زراً زجاجياً صغيراً، وأعطته لتانيا وقالت:

تقبلي يا ابنتي هذا الزر ذكرى مني. فما إن تنسي شيئاً من العمل أو تتعرضين لموقف صعب، انظري إلى هذا الزر، وسيأتيك الجواب حالاً.

قالت المرأة ذلك وذهبت. ولم يروها مرة ثانية.

ومنذ ذلك الحين صارت تانيا ماهرة في الحياكة والخياطة، وصارت صبية في سن الزواج. وبدأ شبان القرية ينظرون إلى نوافذ آنستاسيا آملين برؤية تانيا، ويخافون الاقتراب منها، فلم تكن ودودة ولا مرحة، كما أنها كانت من الأحرار، والحرة لا تتزوج عبداً عند الإقطاعي. فمن يريد لنفسه البلية؟

كذلك أصبحت تانيا معروفة في البيوت الإقطاعية، بسبب مهارتها في العمل. فصار السادة يرسلون إليها الحرس والخدم الأحرار لخطبتها، طامعين بجلبها إليهم واستغلال عملها ومهارتها عندهم. ولم تعر تانيا هؤلاء أي اهتمام، وكانت تختم حديثهم معها ساخرة فتقول لواحدهم: اذهب يا عزيزي.. اذهب. فلا شك أنهم بانتظارك. يخافون أن تتلف الساعة المعلقة التي أعاروك إياها فأنت لست معتاداً على مثلها.

فيشعر الخادم العامل عند السادة وكأنك سكبت عليه الماء المغلي، فيغادر مسرعاً وهو يقول: هل هذه فتاة، إنها تمثال حجري أخضر العينين.

ولكن ما من أحد أرسل لخطبة تانيا إلا وبقي يتذكرها ولا يستطيع نسيان جمالها. وكان يشعر بسحر يشده إلى منزلها فيمر دائماً بجانبه. وكان الشارع الذي يقوم عليه منزل آنستاسيا يعج بالشبان العازبين في يوم العطلة، يتمنون رؤية تانيا.

بينما هي لم تكن تهتم للأمر أبداً.

وبدأت الجارات تلمن آنستاسيا وتقلن لها: ما بال ابنتك قد تكبرت على شباننا كثيراً؟ وليس لديها صديقات من بناتنا. فهل تنتظر أميراً ليخطبها أم تريد أن تصبح راهبة؟

وكانت آنستاسيا تتنهد وتقول: آه يا أخواتي.. لم تكن ابنتي هكذا ولما جاءت إلينا تلك المرأة سحرتها، فما إن أتحدث معها حتى تخرج الزر وتبدأ النظر إليه وتصمت. ويا ليتني كنت أستطيع أن أرمي هذا الزر خارجاً ولكنه يساعدها في العمل. وكنت عاقبتها لولا أنها نشيطة في عملها وماهرة، ومن عملها نعيش. فلم يعد أمامي إلا البكاء. وعندها تقول لي: " أمي إنني أعرف أن نصيبي ليس هنا. ولهذا لا أعطي وعوداً لأحد ولا أخدع أحداً. فلماذا أجعل الناس يعانون؟ أما جلوسي بجانب النافذة فلأن عملي يتطلب ذلك. فلماذا تهاجمينني؟ وبماذا أسأت إليك؟" فبماذا أجيبها.

وصارت عائلة آنستاسيا تعيش في اكتفاء مادي، فقد زاد الطلب على عمل تانيا، وسمع به الناس في المدن الأخرى، فصاروا يرسلون طلباتهم ويدفعون مالاً وفيراً. وكان الرجال لا يكسبون مالاً كالذي تكسبه تانيا من عملها. ولكن جاءتهم المصيبة، فقد أصاب الحريق منزلهم والتهمت النيران كل شيء، وحدث الأمر ليلاً، فاحترق كل شيء حتى الحيوانات المنزلية. ولم يبق عندهم غير ملابسهم التي عليهم، والصندوق الحجري الأخضر الذي استطاعت آنستاسيا إخراجه من المنزل. وقالت في اليوم التالي: لا شك أنه حان وقت بيع الصندوق.

فصاح الأولاد بصوت واحد: بيعيه يا أمي ولكن لا تعطيه بالثمن البخس.

فنظرت تانيا خفية إلى الزر ورأت فيه صاحبة العينين الخضراوين تشير لها بأن دعيهم يبيعونه. فشعرت تانيا بالحزن ولكن ما العمل؟ فتنهدت وقالت: بيعيه يا أمي...

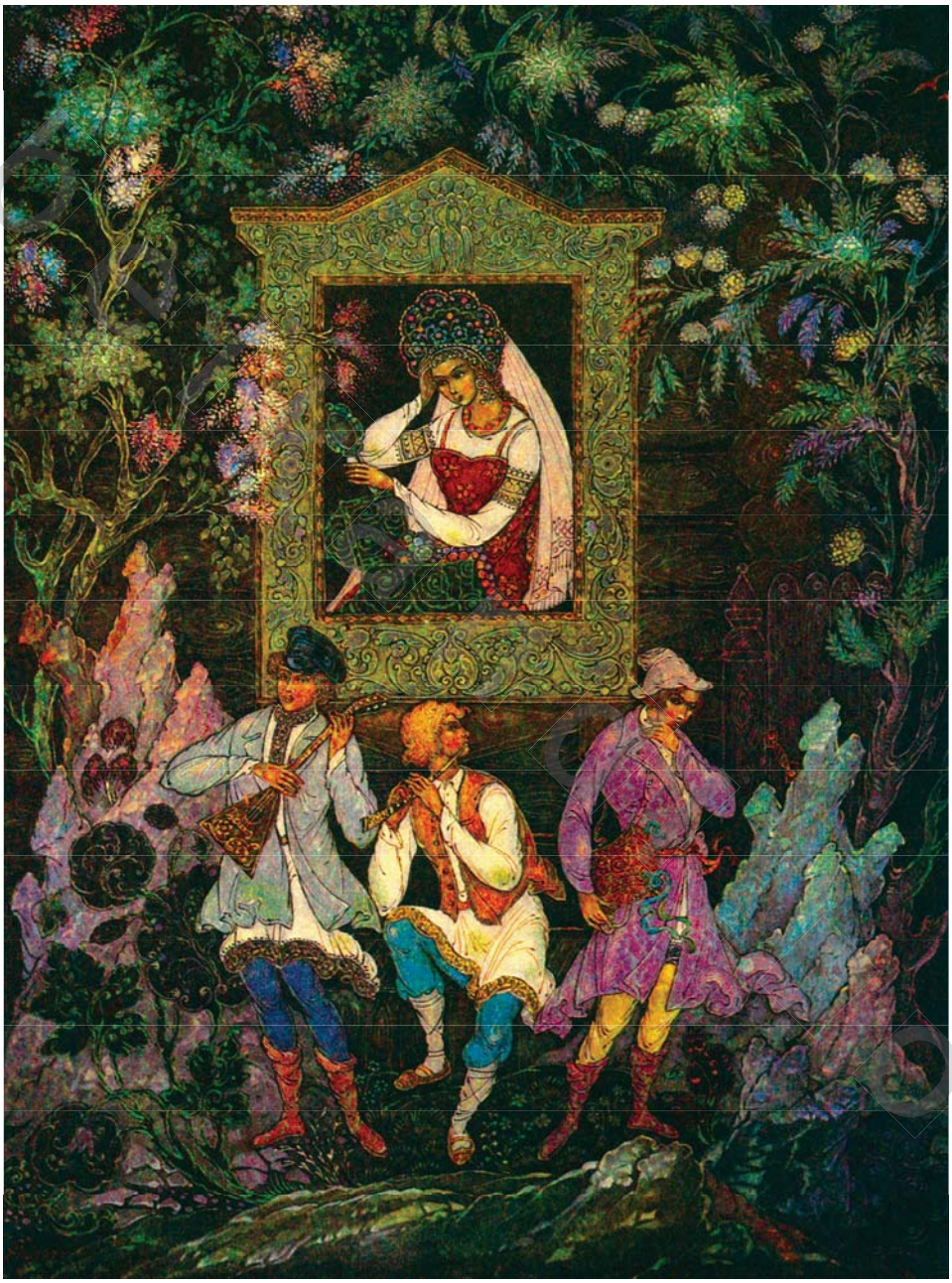

حتى أنها لم تلقي نظرة وداع على المجوهرات. فباتوا عند الجيران. وما إن قرروا بيع الصندوق، حتى جاء التجار فوراً. وربما كان أحدهم هو الذي دبر أمر الحريق ليحصل على الصندوق. وقد رأوا أن الأولاد كبروا فصاروا يزيدون في ثمنه، فبعضهم دفع خمسمائة وبعضهم ألفاً، وهي نقود ليست بقليلة ويمكن إصلاح الأمور بها، ولكن آنستاسيا طلبت ألفين. فبقي التجار يأتون إليها ولا يستطيعون الاتفاق مع بعضهم بعضاً، إذ كان الصندوق كنزاً ثميناً. واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن جاء مشرف جديد إلى منطقتهم.

فقد جرت العادة على أن يتم نقل كل مشرف من منطقة إلى أخرى إذا طال بقاؤه في إحدى المناطق، وقيل إنه من البلاد الأجنبية، ويتحدث بلغات كثيرة، بينما يتحدث باللغة الروسية بصعوبة، ولم يكن يلفظ بالروسية الصحيحة إلا كلمة واحدة وهي "اجلدوه". وكان يلفظها بتكبر وغرور، وكلما أخبروه بأن أحد العمال لم يستخرج الكمية المتوجبة عليه من معادن وأحجار المنجم، كان يرد عليهم بكلمة واحدة هي "اجلدوه". فسموه في الشعب "الجلاد".

وكان هذا المشرف نحيل الجسم ورغم صراخه الكثير إلا أنه لم يكن يعذب الناس بقسوة ولم يكن يظلمهم وبعد فترة لم يجد الجلادون يجدون لأنفسهم عملاً، فتنفس الشعب العامل خلال فترة إشراف هذا المشرف.

وكان الإقطاعي قد أصبح عجوزاً وبات يحرك قدميه بصعوبة، وقرر أن يزوج ابنه لسيدة من النبلاء، ولكن الابن كانت لديه حبيبة من الشعب، وكان متعلقاً بها بشدة. فما العمل؟ إذ كان الوضع محرجاً. وماذا سيقول أهل العروس النبيلة؟ وهكذا صار الإقطاعي العجوز يحاول إقناع حبيبة ابنه بالزواج من عازف موسيقى كان يعمل لديه. وكان هذا العازف يعلم أولاد السادة الموسيقى واللغة الأجنبية. فقال الإقطاعي للفتاة: لماذا تريدين العيش بهذه الطريقة والإساءة إلى سمعتك، تزوجي من رجل يهتم بك، وسأرسله مشرفاً إلى منطقة المعامل، وكل شيء هناك منظم ولكن عليه أن يمسك الشعب بيد قوية. ويبدو أنه يكفيه العقل ليقوم بهذا

العمل رغم أنه موسيقي. وستعيشين معه حياة رغيدة، وستكونين من أفضل الناس هناك، وسيحترمك الجميع. فهل يبدو الأمر سيئاً؟

فقبلت المرأة بسهولة، فربما كانت على خلاف مع ابن الإقطاعي أو أنها بحثت عن مصلحتها. فقالت للإقطاعي: إنني منذ زمن بعيد أحلم بذلك ولكنني لم أتجرأ وأعبر عن ذلك بصراحة.

اعترض العازف في البداية قليلاً وقال: لا أريد أن أتزوج منها فسمعتها ليست جيدة.

لكن الإقطاعي كان عجوزاً ماكراً، ولم يكسب كل تلك الأموال عبثاً. وأجبر العازف على قبول العرض سريعاً، فربما هدده أو أغراه بشيء ما، وبعد فترة قصيرة تزوج العازف من هذه المرأة وسافرا إلى منطقة المعامل. وهكذا ظهر هذا المشرف الذي سموه "الجلاد" في منطقة المعامل، ولم يعش فترة طويلة ولكنه لم يكن إنساناً سيئاً.

حضر المشرف مع زوجته إلى المنطقة في نفس الفترة التي كان فيها التجار يحاولون شراء الصندوق من آنستاسيا. وكانت زوجة المشرف جميلة بيضاء وذات خدود وردية وسمعت بالصندوق وقالت لنفسها: "فلأذهب لأراه لعله يعجبني وأشتريه". فارتدت ملابسها وتزينت وحضرت إلى آنستاسيا، وقالت لها: حسناً يا عزيزتي أرني الصندوق والمجوهرات التي تريدين بيعها؟

فأحضرت آنستاسيا الصندوق وبدأت تعرض المجوهرات الموجودة فيه. فأعجبت زوجة المشرف بالمجوهرات فقد تربت في المدينة، وسافرت إلى البلاد الأجنبية مع ابن الإقطاعي كثيراً، وكانت تعرف قيمة المجوهرات. ففكرت في نفسها: "إن الملكة نفسها ليس لديها مجوهرات كهذه، يا ليتني أنجح في شرائها". فسألت المرأة آنستاسيا: كم تريدين ثمنها؟

فردت آنستاسيا: ألفي روبل.

هيا يا عزيزتي جهزي نفسك، سنذهب إلى منزلي ونأخذ الصندوق معنا. وهناك سأعطيك النقود.

obeikandl.com

لكن آنستاسيا لم تنخدع بذلك وقالت: ليس لدينا عادة كهذه في مناطقنا، أن يسعى الخبز وراء الجسد. اجلبي المال وخذي الصندوق.

فرأت المرأة أن آنستاسيا ليست امرأة سهلة، فتوجهت سريعاً لجلب المال وقالت لآنستاسيا: لكنك يا عزيزتي لا تبيعي الصندوق لغيري.

فردت آنستاسيا: يمكنك أن تثقي بذلك فأنا لا أتراجع عن كلمتي. وسأنتظرك حتى المساء فإن لم تحضري فسأتصرف حسب مشيئتي.

وما إن غادرت زوجة المشرف حتى حضر التجار سوية. فقد كانوا يراقبون المنزل. وسألوا آنستاسيا: هل اشترتها؟

نعم لقد بعتها... ردت آنستاسيا.

بكم بعتها؟

بألفي روبل.

ما بالك هل جننت، لنا نحن أبناء منطقتك لم تبيعينا ولهذه الغريبة بعتها فوراً؟ ... وبدؤوا يزيدون في سعرها.

ولكن آنستاسيا لم تنخدع بذلك وقالت: إنها من عادتكم ألا تحافظوا على كلمتكم أما أنا فكلمتي غالية علي. لقد وعدت المرأة ولننهِ هذا الحديث.

وعادت زوجة المشرف سريعاً، وأحضرت المال معها، وناولته لآنستاسيا ثم أخذت الصندوق ورحلت. وما إن خرجت إلى عتبة البيت حتى قابلت تانيا، فقد كانت خارج المنزل، وجرى البيع وهي غير موجودة. فرأت تانيا السيدة تخرج ومعها الصندوق، فنظرت إليها لترى إن كانت تلك التي رأتها في الصالة.

فسألتها زوجة المشرف: من أنت ومن تكونين؟

أنا ابنة هؤلاء الناس الذين باعوك الصندوق. وكنت الوريثة الشرعية للصندوق، ولم أكن لأبيعه لولا الحاجة. إنني منذ صغري أحب اللعب بهذه

obeikandl.com

المجوهرات، ولكن ما فائدة الحديث عن تلك الأيام فالذي بيع قد بيع.

عبثاً تظنين الأمر بهذه الصورة يا عزيزتي... قالت زوجة المشرف – سأجد مكاناً لهذه المجوهرات... وفكرت في نفسها: "من الجيد أن صاحبة العينين الخضراوين هذه لا تدرك قيمة جمالها. فلو أنها ظهرت في المدينة لأوقعت في حبها الملوك. علي ألا أترك عشيقي الأحمق ابن الإقطاعي يراها".

وعلى هذا افترقتا.

وما إن وصلت زوجة المشرف إلى المنزل حتى أخذت تتباهى أمام زوجها وقالت: والآن يا صديقي العزيز لن أحتاجك لا أنت ولا ابن الإقطاعي، فعند أقل رغبة أسافر إلى العاصمة أو الأفضل من ذلك خارج البلاد، سأبيع الصندوق وأشتري بثمنه زوجين مثلك إذا احتجت لذلك.

ولأنها كانت امرأة فبعد أن تباهت بنفسها أرادت أن تجرب المجوهرات على نفسها فأسرعت إلى المرآة ووضعت الجوهرة التي تزين الرأس، ويا للهول صاحت من الألم فقد شدت الجوهرة شعرها بقوة، وما إن وضعت الأقراط حتى شعرت بألم شديد في أذنيها، وعندما وضعت الخاتم في إصبعها ضغط الخاتم بقوة على إصبعها فنزعته بصعوبة. وجلس زوجها يضحك منها ساخراً ويقول: "ليس مكتوباً لأمثالك التزين بمجوهرات كهذه".

ففكرت المرأة في نفسها: "ما الأمر؟ علي بالتوجه إلى المدينة لعرض المجوهرات على الحرفي ليصلحها. لكن علي أن أحرص على ألا يستبدل الأحجار الكريمة بأخرى مزورة".

ولأنها كانت تنفذ ما تنوي عليه، فقد توجهت منذ صباح اليوم التالي لتبحث عن حرفي يصلح المجوهرات، فسألت عن أفضل حرفي وقد كان رجلاً هرماً وخبيراً في مصلحته، فتفحص الصندوق وسأل ممن اشترته، فحكت زوجة المشرف ما كانت تعرفه. تفحص الحرفي الصندوق مرة أخرى، ولم ينظر إلى المجوهرات أصلاً وقال لها: لا أستطيع أن أصلح لك المجوهرات لأن الصندوق والمجوهرات ليست من صنع حرفيينا ولهذا لا نعرف كيف نصلحها.

oberkanar.com

وطبعاً لم تفهم المرأة ما قصده الحرفي وتوجهت فوراً إلى حرفي آخر. ولكن كل الحرفيين الذين عرضت عليهم صندوق المجوهرات رفضوا مساعدتها، فجميعهم تفحصوا الصندوق من الخارج بإعجاب ولم ينظروا إلى المجوهرات أبداً ورفضوا مساعدتها. وعندها استخدمت المرأة الحيلة وقالت إنها جلبت الصندوق من العاصمة نفسها. لكن الحرفي الذي كانت تود أن تخدعه بهذه الطريقة ضحك وقال: أعرف في أي مكان صنع الصندوق وأعرف الحرفي الذي صنعه وأين لنا أن نتنافس معه في مهارته حتى أننا لا نستطيع إصلاح الخلل.

وهنا أيضاً لم تفهم المرأة ما أراد قوله الحرفي، وظنت أن الحرفيين يخشون من شخص ما. وتذكرت ما قالته آنستاسيا لها بأن ابنتها كانت تحب ارتداء هذه المجوهرات، وقالت في نفسها: "هل يرفضون إصلاح المجوهرات لأنها كانت لصاحبة العينين الخضراوين؟ وأنا ماذا يهمني من هذا الأمر. سأبيع المجوهرات لسيدة غنية وغبية، ولتعانِ هي في ارتدائها، أما أنا فسأكسب النقود". وبهذه الفكرة عادت إلى منطقة المعامل.

وما إن حضرت إلى المنطقة حتى سمعت بخبر وفاة الإقطاعي العجوز. وقد كان ماكراً في تدبيره لزواج المشرف، ولكن الموت كان أمكر منه، فلم يزوج ابنه بعد، وقد أصبح ابن الإقطاعي هو السيد على جميع أملاك والده، وبعد فترة استلمت زوجة المشرف رسالة تقول:"يا عزيزتي سوف آتي قريباً فانتظريني وسآخذك معي، أما زوجك العازف فسنرسله إلى مكان ما". وما إن علم المشرف بالأمر حتى اشتد غضبه، فكيف سيحافظ على ماء وجهه إذا جاء الإقطاعي وأخذ زوجته منه. ولعدم قدرته على فعل شيء بدأ يشرب الخمر مع العمال. ومرة قال أحد العمال متباهياً: لقد كبرت لدينا صبية جميلة في منطقة المصانع، يصعب العثور على مثلها.

فسأل المشرف: ابنة من هي وأين منزلها؟

فحكوا له ما أراد معرفته وذكروا له أمر الصندوق الذي اشترته زوجته.

فقال المشرف: يا ليتني أستطيع رؤيتها.

obeikandl.com

وتبرع العمال بإيصاله إلى المنزل فوراً، فقال المشرف: لنذهب الآن فوراً، لنرى إن بنوا منزلهم في مكان صحيح، فهم عائلة من الأحرار ولكنهم يعيشون على أرض المصانع، وإذا احتجنا نستطيع أن نضغط عليهم.

فذهب ثلاثة من الرجال مع المشرف، وجلبوا معهم سلسلة حديدية طويلة ليقيسوا بها الأرض التي بنت آنستاسيا عليها منزلها، ليروا إن كانت أخذت من أرض جيرانها وإن كانت وضعت الأعمدة بصورة صحيحة. ثم دخلوا المنزل وكانت تانيا وحيدة في المنزل. نظر إليها المشرف وعلق الكلام في حنجرته. فلم ير جمالاً كهذا في أي بلد من البلدان التي زارها. فوقف كالأحمق بينما هي جالسة صامتة، وكأن الأمر لا يعنيها. ثم ابتعد المشرف عنها قليلاً وبدأ يسألها: ماذا تعملين؟

فأجابت تانيا: أحيك وأخيط الحرير وأبيعه... وبدأت تريه عملها.

وأنا هل يمكنني أن أطلب منك أن تحيكي لي؟

ولم لا... أجابت تانيا – طالما أننا سنتفق على السعر فلا مانع.

هل تستطيعين أن تحيكي لي صورتك من الحرير؟

نظرت تانيا خفية إلى الزر ورأت هناك صاحبة العينين الخضراوين تومئ لها برأسها وتقول: "خذي الطلب"، وأشارت إلى نفسها بإصبعها. فردت تانيا: لن أحيك لك صورتي، ولكن لدي صورة امرأة ترتدي الأحجار الكريمة والثياب الملكية، سأحيك لك صورتها. ولكن عملاً كهذا سيكلفك غالياً.

لا تقلقي بهذا الشأن ... أجاب المشرف – فإن طلبت مائة روبل أو مائتي روبل فسأدفع لك، أرجو أن تشبهك ليس إلا.

في الوجه سيكون هناك تشابه، بينما الملابس ستختلف.

وهكذا اتفقا على مبلغ مائة روبل، وحددت تانيا موعد الاستلام بعد شهر. وكان المشرف يأتي كل فترة كأنما ليطمئن على سير العمل في حين أنه كان يأتي لغرض آخر، فقد وقع في حب تانيا وهي لم تلحظ شيئاً. فكان المشرف يتلفظ بكلمة أو اثنتين

ثم يصمت. وكان رفاقه من العمال يسخرون منه قائلين: لن تحصل على شيء هنا، وستتلف حذاءك عبثاً.

وهكذا حاكت تانيا الصورة، فنظر المشرف إلى الصورة وقال في نفسه: "إنها صورتها نفسها ولكنها مزينة بالأحجار الكريمة والمجوهرات وترتدي الثياب الفاخرة. فأعطاها ثلاثمائة روبل، ولكنها لم تأخذ منها إلا مائة روبل، وقالت: لم أعتد على تقبل الهدايا، فنحن نعيش من عرق جبيننا.

عاد المشرف إلى بيته وجلس يتأمل الصورة، وخبأها جيداً عن زوجته. وقل تناوله للشراب وبدأ يتقن تدريجياً أمور إدارة المناجم.

ومع قدوم الربيع قدم إلى المنطقة الإقطاعي الشاب. واجتمع الناس كلهم في الكنيسة وصلوا هناك، ثم بدأت الاحتفالات في بيت الإقطاعي. وقد أخرجوا للعمال برميلي نبيذ كي يتذكروا الإقطاعي العجوز ويهنئوا الإقطاعي الشاب. وفي اليوم التالي توجه الناس إلى العمل ، بينما استمرت الاحتفالات في بيت الإقطاعي. وهكذا استمر الحال، نوم واحتفال. ويقضي الإقطاعي وضيوفه وقتهم في ركوب القوارب والخيل والصيد وسماع الموسيقى. بينما كان المشرف سكراناً دائماً، فقد أحاطه الإقطاعي برفاق السوء وأمرهم بأن يبقوه سكراناً قدر الإمكان.

ورغم أن المشرف كان سكراناً، إلا أنه شعر إلى ماذا سينتهي الأمر. وكان يشعر بالحرج أمام الضيوف، فقال أمام الجميع وهم خلف طاولة الطعام: أنا لست مهتماً في أن السيد يريد أن يأخذ مني زوجتي، فليأخذها، فأنا لا أريد واحدة مثلها، فأنا لدي هذه...

وأخرج من جيبه الصورة الحريرية. وما إن رآها الناس حتى فتحوا أفواههم من شدة الدهشة. والإقطاعي أيضاً أخذ يحملق في الصورة. ثم سأل: من تكون؟

فضحك المشرف وقال: املأ لي الطاولة ذهباً وإلا لن أقول لك.

فسارع أهل المنطقة يشرحون للإقطاعي من تكون الفتاة. بينما أخذت زوجة

المشرف تعارضهم وتقول: ما هذا الهراء الذي تقولونه. من أين لفتاة عادية ثوب كهذا ومجوهرات مطعمة بأحجار كريمة؟ أما هذه الصورة فقد أحضرها زوجي من خارج البلاد. وقد رأيتها معه قبل زواجنا. والآن وهو سكران يقول كل هذا الهراء. وبعد فترة سينسى اسمه.

رأى المشرف أن زوجته منزعجة من الأمر فأخذ يزيد في حدته ويقول: عليك أن تخجلي من نفسك. لماذا تكذبين على السيد. أي صورة رأيتها قبل زواجك؟ هنا حاكتها لي نفس الفتاة التي يتحدثون عنها. أما بالنسبة للثوب فلن أكذب، لا أعرف. إذ يمكنك أن ترتدي أي ثوب. أما الأحجار فقد كانت عندهم، والآن هذه الأحجار في خزانتك مخبأة. فأنت بنفسك اشتريتها ودفعت ثمنها ألفي روبل، ولم تستطيعي ارتداءها، يبدو أنها لا تناسبك، وكل أهالي المنطقة يعرفون بأمر شرائك للصندوق.

وما إن سمع الإقطاعي بأمر الأحجار الكريمة حتى قال فوراً: أرني إياها فوراً.

فقد كان ابن الإقطاعي غبياً، ويحب الأحجار الكريمة كثيراً، وكان وريثاً لأب غني ليس إلا. ولم يكن لديه شيء يفخر به ، فلا صوت رجولي لديه ولا طول قامة، فأراد أن يحصل على الأحجار ليفخر بها، وكان كلما سمع بحجر كريم يباع في منطقة ما يسرع لشرائه. وكان يعرف قيمة الأحجار الكريمة جيداً.

رأت زوجة المشرف أنه لم يعد أمامها من حل آخر فذهبت وأتت بالصندوق. نظر الإقطاعي إلى الصندوق وقال: بكم تبيعيه؟

فسمت المرأة سعراً غير معقول، ولكن الإقطاعي أقنعها بنصف الثمن، ودفع لها المال فوراً وأخذ الصندوق. ثم قال: نادوا إلي هذه الفتاة التي كنتم تتحدثون عنها.

فتوجه عدد من الناس لينادوها، فحضرت تانيا فوراً إذ أنها ظنت بأن هناك طلباً ضخماً على عملها. فدخلت الغرفة ورأت حشداً هائلاً من الناس هناك، وفي وسط الغرفة ذلك الرجل الذي يشبه الأرنب الذي رأته في الزر. وأمام الرجل الأرنب صندوق

حجري هو هدية والدها. فعرفت تانيا في هذا الرجل الذي يشبه الأرنب الإقطاعي الجديد وقالت: لماذا ناديتني؟

ولم يستطع الإقطاعي أن ينطق بكلمة واحدة. وبقي يحملق فيها. ثم قال: هل الأحجار ملكك؟

كانت ملكنا والآن ملكهم... وأشارت تانيا إلى زوجة المشرف.

لا إنها الآن ملكي... تفاخر الإقطاعي..

إنه أمر يخصك... ردت تانيا.

وهل تريدين أن أهديك إياها ثانية؟... سأل الإقطاعي.

لا شيء عندي أرد به هديتك... أجابت تانيا.

وهل تستطيعين أن تجربيها على نفسك؟ أريد أن أرى كيف ستكون المجوهرات على السيدة... طلب الإقطاعي.

هذا الأمر ممكن... وافقت تانيا.

فأخذت الصندوق وتزينت بالمجوهرات. وصاح الإقطاعي مندهشاً من شدة الإعجاب.

وقفت تانيا قليلاً ثم قالت: هل اكتفيت من النظر؟ فأنا ورائي أعمال أقوم بها، ولا أستطيع البقاء طويلاً.

فقال الإقطاعي أمام الجميع: هل تقبلين أن تكوني زوجة لي؟

فضحكت تانيا وقالت: لا يليق بالسيد أن يقول كلاماً كهذا.

ثم أعادت المجوهرات وذهبت. ولكن الإقطاعي بقي يحاول كسب ودها، وعاد لخطبتها في اليوم التالي، وأخذ يرجو آنستاسيا ويقول:" زوجيني إياها".

فقالت له آنستاسيا: إنني لا أغصبها على شيء، وهي حرة في اختيارها، ولكن

obeikandl.com

يبدو لي أن هذا الزواج غير متناسب.

بقيت تانيا تستمع وأخيراً قالت: قد سمعت أنه في قصر الملك توجد صالة من الحجر الأخضر الذي استخرجه والدي من الجبل. فإذا جعلتني أرى الملكة في هذه الصالة أتزوجك.

وكان الإقطاعي مستعداً لفعل أي شيء، فأخذ يستعد للسفر مباشرة إلى العاصمة، ودعا تانيا للذهاب معه، وقال إنه سيعطيها خيولاً أصيلة لتنقلها، فأجابته تانيا: إن من عاداتنا ألا تركب العروس في عربة عريسها قبل أن تصبح زوجته، ونحن لم نصبح بعد عروسين، وسنتحدث حول ذلك لاحقاً، عندما تفي بوعدك.

ومتى ستحضرين إلى العاصمة بطرسبرغ؟

سأحضر في الموعد لا تشك بذلك، والآن اذهب من هنا.

غادر الإقطاعي، ولم يعد ينظر حتى إلى زوجة المشرف، وما إن وصل إلى العاصمة حتى بدأ يحدث الجميع عن الأحجار الكريمة وعن عروسه. وعرض الصندوق على الكثيرين. ولكن الناس كانوا يريدون رؤية العروس. ومع مجيء الخريف جهز الإقطاعي شقة لتانيا، واشترى لها ثياباً كثيرة من أجمل الأثواب، فأرسلت له تانيا رسالة تقول إنها في العاصمة تعيش عند أرملة.

فأسرع الإقطاعي إلى بيت الأرملة وقال لتانيا: هل يعقل أن تبقي في هذا المنزل، فقد جهزت لك شقة فاخرة، من الصنف الأول.

فأجابته تانيا: إنني مرتاحة هنا.

وصلت الشائعات حول المجوهرات وحول عروس الإقطاعي إلى الملكة نفسها، فقالت الملكة: أريد أن يجلب الإقطاعي عروسه إلي لأراها. إذ يكذبون كثيراً حولها.

فأسرع الإقطاعي إلى تانيا وأخبرها بأنه يجب أن يستعدوا. ويجب أن يخيطوا لها ثوباً يليق بالحضور إلى القصر، وعليها بارتداء مجوهرات الصندوق. فأجابت تانيا: لا تشغل بالك بالثوب، وسأبقي الأحجار عندي لفترة. ولكن إياك أن ترسل

obeikandl.com

خلفي عربتك. فسوف آتي في عربتي، وأنت انتظرني عند عتبة القصر.

ففكر الإقطاعي في نفسه، من أين لها العربة؟ ومن أين ستأتي بعربة تليق بالقصور؟ ولكنه لم يتجرأ ويسألها.

وهكذا بدأ الضيوف يحضرون إلى القصر. وجميعهم يركبون العربات الفاخرة، ويرتدون الحرير والمخمل. وحضر الإقطاعي باكراً إلى عتبة القصر ينتظر عروسه. واشتد فضول الآخرين لرؤيتها فوقفوا معه. وأما تانيا فقد تزينت بالمجوهرات وربطت شعرها بمنديل كما تفعل العاملات في منطقتها وارتدت معطف الفرو وسارت تمشي بهدوء. وسار وراءها حشد من الناس يتساءلون من تكون؟ فاقتربت تانيا من عتبة القصر، فلم يسمح لها حراس القصر بالدخول، وقالوا إنه غير مسموح للعمال بالدخول. فرأى الإقطاعي من بعيد عروسه إلا أنه شعر بالخجل من الموجودين، لأن عروسه جاءت راجلة وترتدي معطفاً عادياً، فسارع واختبأ. وهنا خلعت تانيا معطفها، فنظر الحرس إلى الثوب الذي لم يكن عند الملكة مثله، وأدخلوها فوراً، وما إن خلعت تانيا المعطف والمنديل، حتى بدأ الجميع يعبرون عن إعجابهم ويتساءلون: من هي؟ وملكة أي بلاد؟

فظهر الإقطاعي فوراً، وقال: إنها عروسي.

فنظرت إليه تانيا نظرة حادة وقالت: هذا ما سنراه لاحقاً، لماذا خدعتني ولم تنتظرني عند عتبة القصر؟

فبدأ الإقطاعي يعتذر منها،ثم توجهوا إلى صالات القصر، فنظرت تانيا وقالت إنه ليس المكان المحدد، وسألته بحدة أكبر: ما هذا الخداع؟ لقد طلبت منك أن تأخذني إلى الصالة التي من الحجر الأخضر الذي عثر عليه والدي... ثم سارت في أرجاء القصر وكأنها في منزلها. وسار القادة والضباط والمديرون والتجار خلفها.

وزادت حشود الناس كثيراً، وجميعهم يحملقون إلى تانيا، بينما هي وقفت عند الجدار الأخضر تنتظر. فبدأ الإقطاعي يخبرها بأنه ليس من اللائق البقاء هنا،

فالملكة أمرت بانتظارها في مكان آخر. بينما استمرت تانيا بالوقوف بهدوء، ولم يرمش لها جفن، وكأن الإقطاعي لم يكن موجوداً.

وخرجت الملكة إلى الغرفة التي حددتها لاستقبال الضيوف ولم تجد هناك أحداً. فجاء الخدم وأخبروها بأن عروس الإقطاعي أخذت الجميع إلى الصالة من الحجر الأخضر. فانزعجت الملكة من هذه التصرفات وتوجهت إلى الصالة الخضراء، فانحنى لها الجميع بينما تانيا بقيت واقفة دون حراك.

فصاحت الملكة: حسناً أين هي عروس الإقطاعي التي تتصرف حسب مشيئتها في قصري؟

فسمعت تانيا ذلك، وزادت حدة نظرتها، وقالت للإقطاعي: ما هذا الذي ابتكرته. لقد أمرتك أن تريني الملكة، بينما أنت دبرت أن تشاهدني الملكة. إنك مخادع، ولا أريد أن أراك مرة ثانية. خذ أحجارك الكريمة.

ومع قولها لهذه الكلمات استندت إلى الجدار من الحجر الأخضر واختفت فيه ولم يبق منها أثر غير الأحجار الكريمة التي التصقت بالحجر في أماكن الرأس والرقبة واليدين.

فخاف الجميع وغابت الملكة عن الوعي. فبدأ حشد الضيوف يحاولون رفع الملكة ومعالجتها. وعندما هدأت الفوضى، قال أصدقاء الإقطاعي له: خذ الأحجار على الأقل لأنه سيتم سرقتها. فهنا ليس أي مكان بل هنا القصر والجميع يعرف قيمة هذه الأحجار.

فبدأ الإقطاعي ينتزع الأحجار عن الحائط، وما إن يمسك بحجر حتى يتحول الحجر إلى قطرة ماء نقي أو قطرة صفراء أو حمراء، وهكذا لم يجمع شيئاً، فنظر إلى الأرض ورأى فوقها زراً فأخذه ونظر إليه ورأى فيه صاحبة العينين الخضراوين مزينة بالأحجار الكريمة، تضحك ساخرة وتقول: يا لك من أرنب قليل العقل. هل كنت تأمل أن تتزوجني. فأنت لست من مستواي؟

ففقد الإقطاعي بعد ذلك بقية عقله، ولكنه لم يرم الزر. وبقي ينظر إليه ويرى فيه صاحبة العينين الخضراوين والتي تضحك وتتلفظ بالكلمات الجارحة. فبدأ الإقطاعي يشرب ويسكر من شدة الحزن فراكم ديوناً كثيرة، ووصلت الحال بالمصانع إلى أن تباع بالثمن البخس.

أما الجلاد فبعد أن أبعد عن عمله، صار يقضي وقته في الحانات، حتى مات، ولكنه بقي محتفظاً بالصورة الحريرية. ولم يعرف أحد أين صارت الصورة بعد موته.

كذلك لم تهنأ زوجة المشرف بحياتها، فلم تستطع الحصول على شيء لأن كل الحديد والنحاس كان مرهوناً في المنطقة.

ولم يسمع أحد عن تانيا أي شيء في المنطقة بعد ذلك.

حزنت آنستاسيا فترة، ولكن لا حول ولا قوة، فتانيا رغم أنها كانت ابنة هذه العائلة إلا أنها كانت كالغريبة.

كما أن أولاد آنستاسيا كانوا قد كبروا وتزوجوا، وامتلأ المنزل بالأحفاد. فلم يبقِ عندها أي وقت للفراغ لتفكر فيه، فأعباء المنزل كثيرة.

وبقي الشبان العازبون يحومون تحت نوافذ بيت آنستاسيا ينتظرون ظهور تانيا، وبعد أن فقدوا الأمل تزوجوا جميعهم، ولكنهم بقوا يتذكرونها فيما بينهم ويقولون: يا لها من فتاة كانت في منطقتنا، لن نرى واحدة مثلها في حياتنا مرة ثانية.

وبعد هذه الحادثة انتشرت شائعة أنه صار هناك سيدتان للجبل النحاسي لهما نفس المظهر ونفس الثوب، ورآهما بعض العمال سوية.

obeikandl.com